الدراسات الفلسفية

جان بودريار والارهاب: المفهوم، والفرضيات والتفسيرات

الاستاذ المساعد الدكتور
رائد عبيس
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

المدرس المساعد
مريم محمد حسن

جان بودريار والارهاب: المفهوم، والفرضيات والتفسيرات

الاستاذ المساعد الدكتور
رائد عبيس
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

المدرس المساعد
مريم محمد حسن

أولا: المقدمة

اختلف النقاد في تقويم المفكر الفرنسي جان بودريار[*] (١٩٢٩-٢٠٠٧)، اذ عدّه البعض "المرشد الروحي" لحقبة ما بعد الحداثة التي نعيشها، بينما يرى البعض الاخر بانه مجرد سمسار افكار لهذه الحقبة[١]. إذ يبدو بودريار احيانا مفكرا عدمياً يحاول تحطيم كل شيء؛ لأنه يعتقد اننا نعيش في عالم من "المحاكاة" و "التزييف"، وليس في عالم الواقع الذي لا تراه اعيننا المعمّاة ليحل محله اخر يحاكي هذا الواقع، تطغى عليه عوالم: السينما ، والتلفزيون، ودزني لاند، والقنوات الاخبارية، والسياسات الزائفة، وغيرها[٢].مع ذلك فان موقفه من الإرهاب يستحق التسجيل، بسبب تأثيره في الفكر الفلسفي المعاصر، وتقديمه تصورات اتاحت فتح نوافذ معرفة جديدة في تحليل الظاهرة الإرهابية. ويسعى هذا البحث الى الوقوف على أفكاره في موضوعة الإرهاب بالدرجة الأساس، وتفسيره لهذه الظاهرة والفرضيات التي قدمها. عبر سبعة اقسام بعد هذه المقدمة، تناول القسم التالي مفهوم الارهاب بشكل عام، وأهم التعريفات التي قدمت له من قبل المؤسسات والباحثين، وفي القسم الثالث تم تناول مفهوم الارهاب عند بودريار. فيما اختص القسم الرابع برصد العلاقة بين

---

[*] ولد جان بودريار الفيلسوف الفرنسي عام ١٩٢٩ في رايمس. أكمل اطروحته في علم الاجتماع في جامعة نانتير تحت اشراف هنري لوفير الذي كان مناهضا للبنيوية. وفيما بعد أصبح زميلا لرولان بارت في "كلية الدراسات العليا". وعلى الرغم من انه كان يدرّس علم الاجتماع في منتصف الثمانينات، فانه من غير الحكمة ان نصنفه عالم اجتماع؛ اذ ان كثيرا من اعماله تهدف اساسا الى هدم الانظمة الاجتماعية.

انظر: كريس هوروكس، زوران جيفتك، أقدم لك بودريار، ترجمة: حمدي الجابري، الناشر، المجلس الاعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٩.

جون ليتشه، خمسون مفكرا معاصرا من البنيوية الى ما بعد الحداثة، ترجمة: فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة: بيروت، ٢٠٠٨، ص٤٦٦.

العولمة والارهاب من وجهة نظره، ثم تحليله لظاهرة الارهاب في الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) ٢٠٠١ التي عاصرها وقدم تفسيرا لها، ومن ثم تناولنا في القسم السادس دور الاعلام في صناعة الارهاب والرؤى التي قدمها لهذا الدور وتأثيراته. وانتهى البحث الى خاتمة موجزة.

ثانيا: في مفهوم الارهاب

لم يكن الإرهاب ظاهرة جديدة بل هي ظاهرة عرفتها المجتمعات منذ القدم، إلا انه اتخذ صورا وأشكالا مختلفة عبر التاريخ؛ لذا تباينت حوله التصورات والرؤى والمواقف، على وفق توجهات الفلاسفة، والمفكرين، والباحثين، الذين تناولوه بكتاباتهم تفسيراً وتحليلاً وتنظيراً، لكن تكاد تشترك هذه الرؤى في النظر الى الإرهاب من كونه استهدافا للمدنيين العزل بهدف تحقيق أهداف سياسية وغير سياسية لمرتكبيه. ينبغي الإشارة بادئ ذي بدء، ان تعريف الإرهاب اصطلاحاً هو أمر ليس باليسير؛ اذ تتنازعه عدة معاني، ويتقاطع مع عدد من المفهومات بحسب الاتجاهات السياسية والفكرية والايديولوجية للأطراف المتنازعة ذوات المصالح المشتركة، وكل ينظر الى وصف الإرهاب من وجهة نظره وميوله ونزعته، فهو يعد إرهابا عند الجماعة المتضررة، ولا يكون إرهابا عند الجماعة الفاعلة أو المؤيدة، لذلك العمل، وما يعد إرهابا عند طرف من الأطراف يكون مشروعاً عند الطرف الأخر المضاد، وهكذا فان وصم العمل بأنه إرهابي يكتنفه شيء من عدم وضوح الرؤية والمفهومية وتتجاذبه نوازع وأهواء سياسية وتوجهات ايديولوجية[٣].

وفيما يأتي نورد عددا من التعريفات للإرهاب:

أ. تعريف **قاموس اوكسفورد** للإرهاب Terrorism بانه: استخدام العنف أو التخويف لتحقيق أغراض سياسية[٤].

ب. تعريف **الموسوعة السياسية** هو: "استخدام العنف غير القانوني أو التهديد به بأشكاله المختلفة بغية تحقيق هدف سياسي معين، مثل كسر روح المقاومة، والالتزام عند الأفراد وهدم المعنويات عند الهيئات، والمؤسسات، أو كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات، أو مال. وبشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية"[٥].

ج. تعريف **مكتب جمهورية ألمانيا الاتحادية لحماية الدستور** ١٩٨٥: كفاح موجه نحو أهداف سياسية يقصد تحقيقها بواسطة الهجوم على أرواح وممتلكات أشخاص آخرين وخصوصا بواسطة جرائم قاسية[٦].

د. وقد عرفت بعض المؤسسات الامريكية الإرهاب بطرق تكاد تكون متشابهة منها: **مكتب التحقيقات الفدرالية الامريكية** الذي يرى أن الإرهاب هو: الاستخدام غير المشروع للقوة أو

العنف من قبل مجموعة من الافراد لهم صلة ما بدولة اجنبية، أو تتجاوز انشطتهم العميقة ضد الشخص وممتلكات، لترويع أو اكراه حكومة ما ولسكان المدنيين أو أي جزء منهما، لتعزيز اهداف سياسية أو اجتماعية[٧].

- بحسب المعاهدة الدولية التي عقدت بإشراف عصبة الأمم لمكافحة الإرهاب فان الإرهاب الدولي هو "الاعمال الاجرامية المواجهة ضد الدولة، والتي من شأنها وطبيعتها اثارة الرعب لدى شخصيات أو جماعات معينة، أو لدى الجمهور"[٨].
- عرفه خبراء **الأمم المتحدة** بأنه "إستراتيجية عنف محرم دولياً، تحفزها بواعث عقائدية (إيديولوجية) تتوخى أحداث الرعب داخل المجتمع لتحقيق الوصول الى السلطة أو تقويضها"[٩].
- تعريف **الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب** الصادرة بالقاهرة عام ١٩٩٨: كل فعل من افعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو اغراضه، يقع تنفيذاً بالمشروع الاجرامي فردي أو جماعي، ويهدف الى القاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو امنهم للخطر أو الحاق الضرر بالبيئة بأحد المرافق أو الاملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض احد الموارد الوطنية للخطر[١٠].
- وتعرف موسوعة النظرية الثقافية الإرهاب بأنه "ارتكاب أفعال عنيفة ضد المدنيين بهدف خلق إحساس بالذعر بين عموم الناس (أو وسط جماعة قومية أو اثنية معينة) وذلك من أجل بلوغ أهداف سياسية، أو أيديولوجية، أو اقتصادية، أو دينية معينة"[١١]، وبهذا المعنى فهو يختلف عن الحرب التي تخضع لوجود قواعد قتال متفق عليها بين الطرفين، بينما نجد في الإرهاب غياب لمثل هذه القواعد.

ثالثا: مفهوم الإرهاب عند بودريار

في إطار بحثه في معنى الإرهاب طرح بودريار عدة تساؤلات، منها:

- ما الارهاب؟
- ما ذهنية الارهاب؟

اذ يرى ان الارهاب يشبه الفيروس، فهو موجود في كل مكان، منتشر عالميا، وأصبح مثل الظل الملازم لكل نظام هيمنة، ومستعد في كل مكان ان يستيقظ كخميل مزدوج، ولم يعد هناك حدود فاصلة تسمح بمحاصرته، فهو كامن في قلب الثقافة التي تحاربه. والكسر (والكراهية) الذي يضع على الصعيد العالمي المستغلين والمتخلفين في مواجهة العالم الغربي ينضم سريا الى الكسر الداخلي ضمن النظام المهين[١٢].

ويعرف بودريار الارهاب بأنه "حصيلة متراكمة أو صورة متطرفة من العنف"[١٣]. وهو في هذا

يتوافق مع اغلب الكتاب الذين وصفوا الإرهاب بالاعتماد على مظهره العنفي، الا انه يرى ان الارهاب "شكل من اشكال العنف الممتع كمشهد؛ وهو بذلك لا يعود عنف الدولة بالمعنى (لان له مطالب مضحكة ولا ينجح على هذا المستوى). فهو لا ينتصر الا إذا اباد المعنى الذي يحافظ على الدولة. من خلال خلق افعال لا معنى لها ليس من شأنها ان تضاعف افتقار القوة الى المعنى. ويتم الصراع ضد المعنى بخلق جرعة سامة من الواقعية"(١٤). ومن ثم فان المعنى لا يبدو ضروريا في هذا السياق، ففي الواقع نجد بعض ارهابيين لا يفعلون أكثر من ادعائهم المسؤولية للحوادث الارهابية من دون ان يكونوا هم من خططوا أو نفذوها(١٥). ان الارهاب لدى بودريار "في حقيقته يترافق وحقيقة الموضوع وكيفية بث مؤثراته، انه حاضر بطريقته وبنسبية تضاهي نسبية الحقيقة المطروحة، نسبية التجريد المقدمة بنزاهة مشهديه"(١٦).

اما ذهنية الارهاب فتتمثل في الحدث الأساس، والذي يتمثل في ان الارهابيين قد كفوا عن الانتحار سدى، وأصبحوا يراهنون بموتهم الخاص على نحو هجومي وفاعل، وفق حدس استراتيجي يعتقد بهشاشة الخصم الهائلة ونظامه وإمكانية احداث اذى كبير فيه من اي شرارة. فجعلوا موتهم سلاحا مطلقا ضد نظام يحيا من استبعاده حصول الموت، ومثاله «صفر من القتلى»، وعليه فان وسائل الردع والدمار ضد الراغبين بالموت تكون غير مجدية، فالعدو سبق له ان جعل موته انتحارا سلاحا هجوميا مضادا ضد عدو يتمسك بقوة بالحياة ويرفض الموت(١٧).

ويمضي بودريار في تحديد جذور الارهاب بوصفه ردَّ فعل، ضد قوة تقوم بإذلال الآخر، ولذا ينبغي اذلالها، ويجب التضحية بالنفس في سبيل ذلك، مقابل مكان في الجنة ورغبة في الحصول على النصر المعنوي، تحت شعار: "**ما همنا من القصف الامريكي ان رجالنا يتوقون للموت بقدر ما يتوق الاميركيون للحياة**"(١٨) ومن هنا فان محاولة السبعة آلاف قتيل الذين تكبدهم، دفعة واحدة نظام «صفر من القتلى». بحيث يصبح كل شيء منوط بالموت، ليس فقط الحضور المفاجئ للموت، بل عبر حضور موت اكثر بكثير من واقعي: موت رمزي وشعائري، وتلك هي ما يطلق عليه بودريار "ذهنية الإرهاب"(١٩).

في مقابل ذلك فان الفرضية الارهابية تقوم على ان النظام ينتحر ردا على التحديات المتعددة للموت والانتحار؛ لأن النظام والسلطة لا يستطيعان الإفلات من الموت الرمزي. اذ يؤدي موت الارهابي الى إيجاد نقطة متناهيةً في الصغر، لكنها تستثير تطلعاً، ومن حول هذه النقطة المتناهية في الصغر، يتكثف نظام الواقع

والقوة ويتقلص، وينكمش على نفسه، ويتحطم في فعاليته العليا الخاصة به. إن تكنيك النمط الارهابي يتمثل في إحداث طفرة من الواقع وجعل النظام ينهار تحتها. ومن ثم فان سخرية الوضع وعنف السلطة المستفز يرتدان ضد الإرهاب؛ "لان الاعمال الارهابية هي –في آن واحد المرآة المفرطة لعنفه الخاص ونموذج عنف رمزي محرم عليه، العنف الوحيد الذي لا يستطيع ممارسته، عنف موته الخاص"[٢٠]. ومن ثم يستنتج كلية كبرى هي أنه "يجب ان نخضع لحقيقة أن ارهاباً جديداً قد ولد أخيرا"[٢١]. ان الإرهابيين لا يكتفون بالقتال باستخدام أسلحة متكافئة، بل نجدهم يراهنون بموتهم الخاص. وفي تحليله لأحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ يرى ان منفذي الاعتداء على برجي التجارة تملكوا كل اسلحة القوة المسيطرة من المال، وتكنولوجيا المعلومات، والطيران، باختصار اكتسبوا كل ما توفره الحداثة[**] والعولمة، من دون ان يغيروا هدفهم في تدميرهما. حتى انهم استخدموا نمط الحياة الامريكية قناعا وغطاءً للعبة المزدوجة التي مارسوها لتحقيق هدفهم الشيطاني، والتحول الى قنابل بشرية موقوتة. وبذلك من الممكن ان يكون اي انسان يبدو في الظاهر مسالما قد يصبح ارهابياً محتملاً. واذا تمكن هؤلاء من الافلات من دون ان يلاحظهم احد، فكل واحد منا هو مجرم متخفي. وبهذا فقد أصبح الارهابيون يمتلكون نوعين من الاسلحة الأولى هي أسلحة النظام نفسه، والثاني هو موتهم الخاص. وإذا اكتفوا بقتال النظام بأسلحته، فانهم سوف يهزمون ويتعرضون للتصفية على الفور. وبالمثل إذا قاتلوه بموتهم هلكوا جميعاً؛ لأنها تضحية لا طائل منها. وهذا ما كان يقوم به الارهاب فيما سبق حتى الوقت الحاضر ولذا كان مصيره الفشل. في حين ان الارهابيين إذا استخدموا السلاحين معا، اي كل الوسائل الحديثة مع السلاح ذي القيمة الرمزية. فان ذلك سيضاعف الى ما لا نهاية قدراتهم على التدمير[٢٢].

من جهة أخرى، فإن الارهاب الانتحاري كان فيما سبق ارهاب فقراء. اما الارهاب الحالي فهو ارهاب اغنياء. وهذا بحسب بودريار يثير مخاوف شديدة؛ لان الارهابيين أصبحوا اغنياء دون ان يتخلوا في رغبتهم بالقضاء على الغرب. وبسبب افتقار افعالهم الى كل إعتبار، فهم يسمون أنفسهم (شهداء) الا ان الشهادة لا تُثبت

[*] تُعرَّف الحداثة بأنها مصطلح واسع يشير الى تغيرات ثقافية شهدها القرن العشرين في الفن، والعمارة، والادب، والموسيقا، والسينما. وهي تركز على غياب الثبات على معنى الاشياء وتعني بالتلاعب بالحياة في المجتمع الاستهلاكي. أنظر: الن هاو، النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، ترجمة: ثائر ديب، دار العين للطباعة والنشر، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠، ص١٢٠.

شيئاً، ولا صلة لها بحقيقة كونهم ارهابيون؛ فمن المؤكد ان موتهم لا يثبت شيئا. وإذا ما كانت الشهادة الطوعية للانتحاريين لا ثبت شيئا، فانه وبالمثل فالشهادة غير الطوعية هي أيضاً لا تثبت شيئاً. وان جعلها حجة أخلاقية لما يقترفون، من دون الحكم على موتهم ودوافعه ونتائجه هي شبهة من عدم المراعاة والاباحة(٢٣).

وكتب بودريار في صحيفة اللوموند مقالاً بعنوان "روح الارهاب" عن حوادث ١١ ايلول (سبتمبر) ٢٠٠١، قال فيه إن "الارهاب لا اخلاقي. وحدث المركز العالمي للتجارة، وهذا التحدي الرمزي للموت، هو لا اخلاقي، ويرد على عولمة هي الأخرى لا اخلاقية، ولنكن نحن لا أخلاقيين أيضاً". إذا أردنا أن نفهم شيئا، فنحن نعتقد أن تقدم الخير بارتقائه في الميادين كافة، يتماشى مع هزيمة الشر وتقهقره، في حين أن الخير والشر يرتقيان معا بالقوة في الوقت نفسه ووفق الحركة نفسها. اذ ان الخير باستئثاره الاحتكار العالمي للقوة انما يتسبب بإشعال شرارة العنف(٢٤).

رابعا: فرضيات جان بودريار في الارهاب

قدم بودريار عدة فرضيات حول الارهاب، بعد مرور عدة أشهر بعد مقالته الأولى التي نشرتها اللوموند، فقد طرح موضوعات العنف، والعولمة، والارهاب، والغرب، والاسلام من خلال طرحه الفرضيات الخمس الآتية:

الفرضية الاولى: الإرهاب مجرد حدث طارئ ومنقطع عن سياقات الواقع المعولم: تستبعد هذه الفرضية ان يكون حدث ١١ أيلول (سبتمبر) ليس سوى حادث طارئ في سير العولمة. وهي فرضية تفتقر الى العمق، لأن ما جرى ذلك اليوم أمر خارق وانكاره هو بمثابة الاعتراف بانه لا يمكن لأي واقعة من الآن فصاعدا أن تشكل حدثاً تاريخياً، واننا خاضعون لمنطق قوة عالمية، قادرة على امتصاص كل مقاومة تواجهها، وكل تعارض معها تستطيع أن تجعله داعما لها، وحتى بالنسبة للعمل الارهابي فانه سيسرع احكام السيطرة العالمية لقوة عالمية ولفكر وحيد(٢٥).

وعليه نجد أن هذه الفرضية تعارض الفرضية الصفرية، أي التي تعتمد أقصى رهان حول ما جرى في ١١ ايلول (سبتمبر)، فالحدث يعلن عن نفسه بانه ما يُوجد فجأة في نظام تبادل معمم، منطقة تبادل مستحيل، أي "التبادل المستحيل للموت في قلب الحدث ذاته والتبادل المستحيل لهذا الحدث مقابل اي خطاب". وبحسب الفرضية الصفرية فان الحدث الارهابي يفتقر لأي دلالة. وان (الشر) ليس الا وهما من صنعنا أو حدثاً طارئ في مسار (الخير)، في النظام العالمي وفي العولمة السعيدة(٢٦).

الفرضية الثانية: الارهابيون مجرد متعصبون مرضى يدافعون عن قضية فاسدة وتتحكم بهم قوى شريرة: تنص هذه الفرضية على ان الانتحاريين مجانين مضطربو الشخصية أو العقل، وهم مرضى عصابيون متعصبون لقضية فاسدة، تتلاعب بهم قوة شريرة ما، تستغل مشاعر الحقد والكراهية لدى الشعوب المضطهدة لإشباع رغبتها في هدم الحضارة الغربية المتفوقة. هذه الفرضية تحاول ان تعطي للإرهاب علة تاريخية أو سبباً تاريخياً يمكن أن يُرى فيه التعبير الواقعي عن يأس الشعوب المضطهدة[٢٧].

غير ان هذه الفرضية مشبوهة، لأنها تجعل من الارهاب يمثل بؤس العالم عبر بادرة عجز حاسمة. واما الاعتراف للإرهاب بنوع خاص من الاعتراض السياسي على النظام العالمي، فان ذلك يأتي للتشهير بفشله بصورة عامة، والذي ينتج عنه فجأة "الاثر الخبيث" الذي يتمظهر في صورة التعزيز اللاإرادي لهذا النظام العالمي[٢٨]. تلك هي صيغة اورنداتي روي[***] Arundhati Roy التي تشتهر –من خلال تشهيرها بالقوة الهيمنة– بالإرهاب بوصفه الاخ التوأم لها، التوأم الشيطاني للنظام[٢٩].

وبكلمات اخرى حتى لو سلمنا جدلا بان الارهاب هو شكل من أشكال الاحتجاج السياسي على النظام العالمي، الذي نشير إشارات خجولة الى اخفاقه، ومن ثم الى تبعاته المظللة المتمثلة بترسيخ النظام العالمي، فينتج الاعتقاد بانه لو لم يكن الارهاب موجودا لكان النظام اخترعه. فلو لم تكن هجمات ١١ ايلول (سبتمبر) لكانت من صنع وكالة الاستخبارات المركزية[٣٠].

الفرضية الثالثة: الإرهاب المتواطئ مع النظام القائم: تقوم هذه الفرضية على أساس افتراض ان كل عنف معاد هو خصم متواطئ في نهاية المطاف مع النظام القائم، وهذا يعني تجريد مقاصد الفاعلين أو الانتقاص من نواياهم الشريرة، ورهان فعلهم ذاته. انه يعني أيضاً إعادة فعلهم هذا الى تبعاته أو نتائجه "الموضوعية" لا الى قوته الخاصة على الاطلاق بل الى تحالف

[***] كاتبة هندية وناشطة سياسية يسارية ولدت عام ١٩٦١، فازت عام ١٩٩٧ بجائزة البوكر الأدبية عن روايتها "إله الأشياء الصغيرة". اذ ترى تروي ان الرأسمالية الامريكية هي مذنبة أيضا، ففي الولايات المتحدة نجد الصناعات العسكرية والنفطية وشبكات الاعلام تحد سيطرة مجموعة الاعمال نفسها، لذا فهي (أي روي) تضع هجمات ١١ أيلول وهجوم الولايات المتحدة على أفغانستان والعراق فيما بعد في الميزان الأخلاقي نفسه، وتصفها بانها اعمال إرهابية. ينظر مقال الكاتبة في صحيفة الغارديان:

Arundhati Roy,(2001-10-23), Brutality smeared in peanut butter : Why America must stop the war now, The guardian (http://www.guardian.co.uk/Archive/Article/0,4273,4283081,00.html)

سري مع نظام مسيطر. الا ان الواضح ان العمل الارهابي هو الذي يجني المكاسب من انعدام النظام من أجل تعزيز قوته، فهو في سباق مع النظام القائم لا يلتقي فيه الخصمان بصورة حقيقية بخلاف صراع الطبقات والحروب التاريخية[٣١].

الفرضية الرابعة: فرضية التواطؤ الداخلي: بدلا من فرضية وجود تواطؤ "موضوعي"، ما بين الارهاب والنظام العالمي، تبرز فرضية مناقضة تماما، تقوم على وجود تواطؤ داخلي عميق، لهذه القوة مع القوة التي تنصب ضدها من الخارج. ان فرضية عدم الاستقرار والعجز الداخلين اللذين يصاحبان الخلخلة العنيفة التي يسببها العمل الإرهابي. ومن دون هذا التحالف السري والاستعداد المتواطئ، لا يمكن فهم الارهاب ولا من استحالة القضاء عليه[٣٢].

وإذا كان هدف الارهاب هو زعزعة النظام العالمي عبر مجابهة مباشرة، فانه هدف عبثي؛ بسبب عدم التكافؤ بين الخصمين، وعلى كل حال فان النظام العالمي هو مكان هذه الفوضى وهذه الخلخلة ومحورهما. بحيث يصبح من غير المجدي فعل اي شيء إضافي لخلخلته واحداث فوضى اضافية[٣٣]؛ فالنظام العالمي هو بالأساس عرضة، من داخله للزعزعة، فلا جدوى من تكبده المزيد منها. بل لابد من تكبيده المزيد من المخاطرة مثلما هو حاصل اليوم اينما كان.

بتعزيز اجراءات المراقبة الامنية. وربما هذا ما كان يحلم به الارهابيون، وهو "عدو سرمدي"؛ لأنه ان زال عن الوجود، يصبح من الصعب تدميره. لكن الارهاب نفسه تحصيل حاصل، وخلاصته هي قياس مفارقة: فاذا كانت الدولة موجودة فمن شأنها ان تضفي على الارهاب معنى سياسيا هو في أمس الحاجة اليه. وقد يكون الارهاب فاقدا لأي معنى سياسي الا ان له معاني اخرى وهذا البرهان يعني ان الدولة غير موجودة ولا يعتد بسلطتها[٣٤].

الفرضية الخامسة: الإرهاب هو تبادل مستحيل مع الموت: يبرز تساؤل عن دوافع الظاهرة للفعل الإرهابي؛ أهو الدين، أم الشهادة، أو الانتقام، أو الاستراتيجية؟ والاجابة بكل بساطة التبادل المستحيل مع الموت، اي تحدي النظام العالمي بالهبة الرمزية للموت، الذي يصبح سلاحاً مطلقاً في مواجهة هذا النظام. فالإرهاب لا ينطوي في الاساس على معنى واضح ومنطقي، ويمتلك هدفاً، ولا يقاس بنتائجه "الحقيقية" السياسية والتاريخية؛ فهو لا ينطوي على معنى لأنه يتشكل بصورة عجيبة في عالم يزدحم أكثر فأكثر بالمعنى وبالفاعلية.

هذه الفرضية تفكر بالإرهاب فيما وراء عنفه الخارق، وأيضاً فيما وراء الاسلام وامريكا، فالإرهاب بهذا المعنى إنبعاث خصومة في قلب عملية العولمة نفسها، لا يمكن اختزالها في هذا

الكامل التقني والذهني للعالم، وأيضاً في التطور الحتمي نحو نظام عالمي مكتمل. ويغدو الإرهاب قوة مضادة وحيوية في صدام مع قوة موت النظام، فهو قوة تحدٍ لعالمية قابلة للانحلال الكلي في التداول والتبادل(٣٥).

ان الإرهاب في ظل هذه الاوضاع لا يبتكر شيئاً ولا يأتي بجديد. أنّه فقط يدفع بالأمور الى حدها الاقصى. ويعمل على جعل بعض الأمور تتفاقم أكثر فأكثر، ويفاقم منطقه الخاص للعنف والارتياب. فالعنف سائد في كل مكان: العنف المؤسسي والذهني والمادي وبحركة تجانسية. فالإرهاب لا يفاعل سوى بلورة كل العناصر المتعلقة به. "فهو يتمم عربدة القوة والتحرر والتدفق والحساب، من دون ان يكف عن كونه عامل التفكيك العنيف لهذا الشكل الاقصى من الفاعلية والهيمنة، وهكذا نكون امام (المنطقة صفر) عند خرائب القوة العالمية"(٣٦).

خامسا: العولمة والإرهاب عند بودريار

هناك تشابه خادع بين اللفظتين الفرنسيتين العالمي mondial والعام unvierse، اذ ان العالمية هي عمومية حقوق الانسان، والحريات، والديمقراطية، والثقافة. اما العولمة فهي عولمة التقنيات، والسوق، والاعلام. اذ تبدو العولمة ذات اتجاه حتمي لا حياد عنه، في حين ان المجال العامّ في طريقه الى التلاشي. فالثقافات التي تتعمم تفقد خصوصيتها وتموت. كما هو حال الثقافات التي دُمرت نتيجة دمجها بالقوة من قبل الثقافة المهيمنة، والثقافات التي انتهت نتيجة تطلعها الى العام. اذ يعد موت هذه الثقافات موتاً عنيفاً، لأنها تموت بسبب فقدان الخصوصية واستئصال كل قيمها القديمة(٣٧).

فقد كان التعميم يتم في السابق بإسراف، بحسب تقدم مستمر، اما اليوم فهو يتم بالغياب، عن طريق الهروب الى الامام نحو أصغر قاسم مشترك، فالعام يهلك ويتلاشى في العولمة. وعولمة التبادلات تخضع في النهاية لعمومية القيم. فانتصار الفكر الوحيد على الفكر العام. اي ان العام يتعولم والديمقراطية وحقوق الانسان عبرت الحدود كأي انتاج عالمي توفره السوق الرأسمالية المعولمة(٣٨).

وينبغي الالتفات هنا الى أن الإرهاب في ظل العولمة لا يتحدد الا عن طريق تحديد القاعدة الداعمة له، فهو لا يفهم بمعزل عن جملة المقومات الاجتماعية والسياسية، فهو حصيلة لها وليس وسيلة، فهو بوصفه مفهوما يرتبط بثقافة، أو جماعة، أو سلطة، أو فئة على اساس ما تفترضه، أو تتوقعه من حقائق تمارس العنف، في ظله والذي لا يكون الا من وجهة نظر المعارضة(٣٩).

ومن هنا ينشأ العنف العالمي الذي يتخذ صورة عنف نظام يطارد كل شكل من اشكال السلبية، وهذا التفرد هو الموت نفسه، فهو عنف مجتمع

يحظر على افراده، كل أشكال النزاع، ومحظور فيه الموت نفسه، فهو عنف ينهي، العنف نفسه، ويسعى دائباً لأن ينشئ عالماً منعتقاً من كل نسق طبيعي، سواء أكان نسق الجسد أو الولادة أو الجنس أو الموت. والاحرى بنا، عوض تسميته عنفا ان نسميه "فوعة الحمة"[١]. فالعنف من هذا القبيل هو عنف ذو طبيعة فيروسية جرثومية، يعمل على أساس العدوى ويهدم بالتدريج قدراتنا الدفاعية لمقاومته[٤٠].

وبذلك يمكن القول ان هناك مستويين للعنف هما[٤١]:

- عنف مادي يمس الجسد.
- وعنف معنوي يمس ضمير الانسان وحريته ووجدانه ومشاعره.

لكن كيف ينشأ العنف العالمي؟ وفي معرض اجابته عن هذا السؤال يشير بودريار الى ان هذا العنف بدأ منذ ان صار الانسان هو المرجعية الوحيدة، "وحلقت الانسانية الماثلة لذاتها في المحل الشاغر للإله الميت، بان الانساني سيداً مطلقاً من دون شريك، غير انه يفتقد الغاية النهائية. وإذا خلت له الساحة من كل عدو، راح يولده من لدنه، ويعزز كل ضروب الانتشار ومن هنا ينشأ العنف العالمي– عنف نظام يطارد كل شكل من اشكال السلبية، وهذا التفرد هو الموت نفسه–عنف مجتمع اللاإنساني، ومن هنا ينشأ العنف العالمي. ومن بين هذه المقاومة الاشد احتداما، للعولمة، هي مقاومات اجتماعية وسياسية، حيث ينبغي ان نبين الرفض السلفي: اي الرفض لمكتسبات الحداثة، ورفضاً لا للبينة العالمية وحسب، بل للبنية الذهنية المعادلة لها في الثقافات كافة. مثل هذا الانبعاث قد يتخذ مظاهر عنيفة، غير سوية لا عقلانية، واشكالا جمعية، عرقية ودينية ولغوية، ولكنه قد يتخذ اشكالا فردية وطبيعية وعصابية. ومن الخطأ عدّ هذه الانتفاضات بوصفها شعبية أو سلفية أو حتى ارهابية. وكل ذلك يشكل حدثا، اليوم ضد الشمولية المجردة بما في ذلك اعتراض الاسلام على القيم الغربية (إذ يعد الاعتراض الاشد احتداماً ويعدُّ اليوم العدو رقم واحد). ومن ثم فإن أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) استكملت عملية العولمة بمعناها الرمزي– لا عولمة السوق، وتدفق رؤوس الأموال، بل عولمة رمزية وأكثر عمقاً هي عولمة الهيمنة العالمية–وذلك باستثارتها تحالف كل السلطات الديمقراطية، أو الليبرالية، أو الفاشية، أو الشمولية، للدفاع عن النظام العالمي بصورة عفوية. حيث بدت تلك الأحداث من وجهة نظر السلطة "المهيمنة" كما لو أنها تحدٍ هائل أراقت فيه القوة العالمية ماء وجهها[٤٢].

[١] المقصود بفوعة الحمة مقدار شدة الجرثومة، أو شدة الإصابة بالسم بالنسبة لمن تلدغه أفعى أو عقرب.

سادسا: تداعيات ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١

يقول جان بودريار أن أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ حصلت لأننا نحن (الغرب) أردنا هذه الأحداث، وإذا لم ندرك ذلك يفقد الحدث بعده الرمزي، فيبدو مجرد حادثة طارئة، نفذها متعصبون يمكن القضاء عليهم وإزالتهم من الوجود بسهولة. إذ أن الحادثة برأي بودريار تتعدى بكثير مجرد الحقد على قوة عالمية مسيطرة، فمن المنطق أن يؤجج تفاقم القوة الرغبة في تدميرها. فالغرب وقد تصرف كما لو أنه في موقع (الاله) ذي القدرة الإلهية الكلية والشرعية والأخلاقية المطلقة، فهو نفسه يصبح انتحارياً ويعلن الحرب على نفسه[٤٣].

يرى بودريار أن الشر هو ما يحدث بلا إنذار، وتلك هي حالة ١١ أيلول (سبتمبر) الذي يؤلف حدثا يتعارض جذريا مع حدث الحرب، وأنه حدث مستحيل وغير قابل للتصور أو التوقع، وهو يتحقق قبل أن يكون، فهو من جنس الحوادث الجذرية الطارئة، الذي لا تصير بموجبه الأشياء ممكنة إلا بعد وقوعها. لذا فهو يختلف عن الحرب، التي يمكن توقعها، وبرمجتها، واستباقها، بحيث لم تعد بحاجة لأن تقع، وحتى لو وقعت فعلاً، فقد سبق توقع وقوعها، افتراضياً وحساب الحسابات لتداعياتها ونتائجها[٤٤]. وعلى الرغم من ان أحداث ١١ ايلول لا تحمل معنى ولا تأويل، الا انه يجعل منها (أُمّاً للحوادث) وسبب هذا التناقض أنه يجد في هذه الصدمة الجيوسياسية العالمية القابلية لتحويل أي نزاع داخلي ذاتي الى نزاع خارجي موضوعي، في ظل إمكانية فائقة لمحو كل الاثر للأول[٤٥].

اذن كانت أحداث ١١ أيلول غير عادية وغير مسبوقة، سواء من حيث حجمها أو دلالتها والغموض المحيط بها، أو على صعيد أصدائها وانعكاساتها وتداعياتها وتأثيراتها، فقد أحدثت نقلة نوعية في مجمل التفاعلات الدولية، وانعكست على التحالفات والصراعات في ظل النظام العالمي، ولم يقتصر أثرها على تطور الصراع ما بين تنظيم القاعدة الإرهابي والولايات المتحدة الأمريكية. غير ان الغموض الذي ساد في هذه الاحداث دفع البعض الى عدّها مؤامرة ارهابية داخلية من صنع (وكالة المخابرات المركزية الامريكية، واليمين الاصولي المتطرف)[٤٦]. اذ ينضم بودريار الى الارهابيين الذين يزعمون انهم لا ينتمون الى هذا العالم "الفاسد"، من دون ان ينعت بالإجرامية فعلهم؛ لأنه يرى في كل منا مجرماً خفياً[٤٧].

إنَّ اسوأ ما قد يصيب القوة العالمية. في نظرها، ليس تعرضها للاعتداء أو التدمير، بل ان تتعرض للإذلال. وعلى هذا كان الارهاب في ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١: اذلالاً مقابل اذلال. فقد تعرضت تلك القوة العالمية (الولايات المتحدة

الامريكية) للمذلة في ذلك اليوم، لان الارهابيين قد كبدوها ما لا تستطيع أن تكبدهم اياه في المقابل، وان ذلك الحدث من وجهة نظر السلطة هو تحدي اراقت فيه القوة العالمية ماء وجهها، وهي ابعد من أن تواجه التحدي، لذا لن تمحو ذلّ ذلك اليوم بسهولة[٤٨].

ذلك ان الردود الإنتقامية كلها ليست سوى آليات رد مادية، الا انها في الحقيقة انها هُزمت رمزياً. فالحرب ترد على الاعتداء لا ترد على التحدي والاذلال. ولا يرفع التحدي الا بإذلال الآخر في المقابل. وبقدر ما يعتمد الارهاب على يأس المهانين والمذلولين، بل يعتمد على يأس غير مرئي لمريدي العولمة، وعلى خضوعهم الخاص لتكنولوجيا كاملة، على واقع افتراضي ساحق، وعلى سيطرة شبكات وبرامج ترسم صورة جانبية لا تتطور للنوع البشري وقد صار عالميا. فإذا كان الارهاب على هذا النحو من الافراط في الواقع ومن تبادله المستحيل. من هذه الوفرة بلا مقابل بوصفه شراً موضوعياً ووهم شامل، فهو في عبثيته ولا معناه، هو الحكم والعقوبة التي يحكم بها هذا المجتمع على نفسه.

سابعا: دور الاعلام في صناعة الارهاب من وجهة نظر بودريار

منذ مطلع القرن العشرين ازداد انتشار صناعة الأدوات الثقافية، وانتشار نوع من الثقافة الجماهيرية؛ فقد توسعت الثقافة بفعل التداخل الكبير لوسائل الاتصال الجماهيري من صحافة، وسينما، وراديو، والقنوات التلفزيونية، والاعلانات، وتعاظم التواصل ما بين الثقافات وأصبحنا نعيش عصر ثقافة معولمة بقوة جارفة.

يرى بودريار أن للإعلام القدرة الهائلة في ايجاد الوعي وتعميم القيم وقواعد السلوك والتفكير والإحساس. فقد أثرت وسائل الإعلام والاتصال الحديثة تأثيرا كبيرا في ازدياد معدلات العنف والإرهاب، وما زالت تحفز الأفراد ذوي النفوس الضعيفة على القيام بالأعمال الإرهابية التي يقوم بها الأفراد، والجماعات والمنظمات الإرهابية سواء في بلدانهم أم في بلدان أخرى[٤٩]. وهنا تكمن نقطة قوة بودريار وضعفه معا (لاسيما ضعفه) في موقفه من الإعلام ودوره وفاعليته وتحليله[٥٠].

وبوصفه كان معاصراً لمفكري السبعينيات، فقد كان يحاور البنيوية الجديدة مركزاً على السيمولوجيا، أي علم الدلالة والرموز، لذا فقد قدم مفهوم "اختفاء الواقع" ونشوء ما يسميه "فوق-الواقع" حتى كان ذلك المفهوم أكثر ما اشتهر به بودريار بوصفه سوسيولوجياً في أبحاثه وتحليله للظاهرة الإعلامية، والاتصال التقني. لذا فهو يعزو "اختفاء الواقع" إلى غياب العلاقة بين الدال والمدلول. وهذا ما يحصل جراء مضاعفة فاعلية الإعلام الذي حوّل كل الحياة الاجتماعية ومن ثم الواقع كله إلى صورة يقدمها الإعلام نفسه.

وان ما يقدمه ليس الواقع كما هو، ولا صورة عنه، بل هو صورة ولدها الإعلام عن صورة أخرى هي مولدة منه هي ليست بالضرورة صورة الواقع كما هي[٥١]. وبما إن الدلالة تفترض وجود علاقة بين الدال والمدلول، أي بين الرمز وما يرمز إليه، فإن الرمز عندما يكتفي بذاته، يصبح هو مرجعية نفسه، ويصبح ما يدل عليه الرمز خارج عن الواقع وبذلك يختفي الواقع ويظهر في هذه اللحظة ما يدعوه بودريار "فوق- الواقع" ومن ثم دلالة الإعلام عن معنى الواقع، لا تعود إلى غير ذاته.

وعليه فان بودريار يرى أن العالم أصبح مجرد صورة نقلاً عن صورة نقلاً عن صورة، ويصبح العالم عبارة عن عملية اصطناع مستمرة، وهذه المصطنعات الصورية هي المهيمنة والواقع محجوب خلفها بقوة. وهكذا ضاع الواقع في "متاهة" من الصور المتخيلة والوهمية التي تروجها وسائل الإعلام، ومن هنا ينشأ عالم "فوق- الواقع" في العالم التكنولوجي الافتراضي وليس في العالم الواقعي الذي نعيشه.

من الواضح أن التطور التكنولوجي الهائل لا سيما في مجالات الإعلام الجماهيري أدت إلى ظهور "فوق-الواقع"؛ فالتلفزيون مثلاً له تأثير قوي في سلوكيات وعقليات وقيم المشاهدين، بل نجده يشكل المصدر الأساس لتكوينهم النفسي- السلوكي. ومن هنا ظهر "المجتمع المشهدي"، الذي يقوم على تحويل الواقع إلى (مشهدية الواقع). بفعل تطور الإعلام الجماهيري، إذ تقوم شاشات التلفزيون والإذاعات ووسائل الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي، لاسيما الإنترنيت بترويج الرموز والقيم والصور، تبعاً لرغبتها التي تتكيف مع رغبات المشاهد ويتبنى المشاهد هذه الرموز ويدرجها في تكوينه النفسي-السلوكي، ويحدد خلالها علاقته مع نفسه ومع الآخرين ومع الحياة بمجملها. فالإعلام يدفع الناس ويكيفهم لينخرطوا في النماذج القيمية والسلوكية التي يولدها ويطرحها في التداول[٥٢].

الا ان الإعلام سلاح ذو حدين، فقد اخذ يعرض بتشويق أعمال العنف، من خلال عرض أفلام العنف والسطو المسلح من خلال الشاشات الصغيرة (التلفزيون) والسينما وغيرها، وجعلها ثقافة طاغية[٥٣]. ففي ثقافة ما بعد الحداثة[*****]

[*****] تعد ما بعد الحداثة وريثة الحداثة والتي تعرف بأنها مجموعة الأعمال الأدبية والحركات الثقافية التي برزت في أنحاء أوروبا وأمريكا الشمالية كافة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. ومع محدودية دلالات التعريف المتقدم لما بعد الحداثة، فان هذا المصطلح يبدو غامضاً وحمال أوجه، اذ نرى ان استخدام صيغة سلبية مثل "ما بعد" انما تأتي مع العجز عن توليد مصطلح مناسب. انظر: سيمون مالباس، ما بعد الحداثة، ترجمة: باسل المسالمة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠١٢، ص٢٦.

أصبحت الصورة التي تعالج بواسطة التلفزيون أو السينما، أكثر واقعية وجاذبية وشهرة مقارنة بحياة الناس الحقيقية. فالشخصيات مثلاً في دراما التلفزيون، مثلا، أصبحت أكثر واقعية من تلك الشخصيات بلحمها ودمها في الواقع الحقيقي. وبذلك تلبس الناس شخصيات هذه الثقافة الطاغية ويتحدثون ويقومون بأفعال على غرار أبطال الشاشة في هذا الفلم أو ذاك. وهذا ما يعرف بالمجتمع المشهدي، الذي هو إفراغ تدريجي للواقع من واقعيته. واخطر ما في الإعلام انه اقتحم الحياة الخاصة للناس، فقرضها شيئا فشيئا، وقد ميّز بودريار المجتمع المشهدي عن فوق–الواقع فالأول يعي وجود مسافة بين المجتمع والواقع، أي ينطوي على إمكان النظرة النقدية، أما فوق الواقع، فهو استحالة النظرة النقدية، ومن ثم استحالة وجود مسافة بين الدال والمدلول، أي إلغاء كل قدرة نقدية(٥٤).

وفي إطار ترويج الإشاعات الكاذبة، فان الإرهاب لا يعيش ولا ينمو إلا في ظل الإشاعة الكاذبة والمغرضة، لأنها الأقدر على خلط الحقائق وتشويهها، وهي الأقدر على تزييف الواقع بل الماضي والمستقبل أيضاً، وهي تُفقد العين القدرة على تمييز الإرهاب من الجهاد والنضال والمقاومة المشروعة(٥٥).

هنا تبرز عدة تساؤلات منها: من يتحكم بالإعلام؟ وبالقدرة التقنية للميديا أو الرقمية؟ ومن يمسك بها، ويسمح لها بترويج هذا الخبر أو ذاك؟ ولماذا أقصيت بعض وسائل الإعلام؟ ولماذا اعتقل بعض الإعلاميين؟(٥٦) فالإشاعة ارتبطت بوسائل الإعلام ارتباطاً وثيقاً، فقد مثلت الستار الذي يحمي الإرهابيين، سواء في إقدامهم على الفعل الإرهابي أو في هروبهم بعده بأقل الخسائر، وبأكبر قدر من الاستنكار الشعبي، فقد أصبح ذلك سمة العمليات الإرهابية في الحقبة الأخيرة(٥٧). وعليه – وبحسب رأي بودريار–فإن من يملك وسائل الإعلام أو يشغلها يقودها لتكون في خدمة مصالحهم وأهدافهم. وقد استند بودريار إلى عبارة الروائي البريطاني جورج اورويل (١٩٠٣–١٩٥٠) الشهيرة "الحرب هي السلم"؛ ذلك ان فوق –الواقع هو عالم يجري فيه إقناع الناس، بفعل قوة الإعلام بأن الحرب هي السلم، لأن الواقع في الإعلام يختلف عن الحدث، ومن ذلك الغزو الأمريكي للعراق، والتلاعب الإعلامي بالوقائع والمعطيات وبراعة الإخراج واختلاف الروايات بحيث تجعل المشاهد يرى كأن الحرب هي السلم، وهنا يعمل الإعلام على إلغاء الواقع: حيث نرى مشاهد الجنود الأمريكيين يتصرفون في العراق وكأنهم في فيلم، وتبدو الحرب وكأنها لعبة الكترونية، حيث يموت الناس كما يموتون في لعبة لا أكثر(٥٨). في المقابل نجد الإشاعة

والتضليل هي المدخل الآمن للعمليات الإرهابية[٥٩].

وعليه يرى بودريار أن الاعلام هو منتج الايديولوجية في عصر الثورة المعلوماتية والرقمية، ويتحكم بالإعلام من يتحكم بإنتاج الالة الرقمية الذكية[٦٠]. اذ تتطور الايديولوجية من خلال تكوين الرموز نفسها، وقدرتها على التعبير عن الواقع، وهل يستطيع الواقع والمعنى ان يسمحا بتداول الرموز وانتشارها؟ وهل تشير الرموز الى الواقع والمعنى الموضوعيين؟[٦١]. ففي عام ١٩٩١ نشر مؤلفه "حرب الخليج لم تقع" حيث اشار الى ان هذه الحرب هي مجرد مصطنع نسقته وسائل الاعلام المتلاعب بها[٦٢]. اذ يرى بودريار ان الانتشار الهائل للصور والتقارير اللحظية على ما يبدو اشبعت تغطيتها وسائل الاعلام حول هذه الحرب، فهي بدلا من توفر المعلومات حول حقيقتها، ولدت جمل من الحقائق الزائفة والدلائل المتناقضة بخصوصها مما حولها الى صراع افتراضي: أي تم استبعاد حقيقة المعاناة والموت بشكل صارم منها وعدها عملية محاكاة ما فوق الواقعية[٦٣]. فقد عرض بودريار العمل تغطية حرب الخليج. لكنه رفض قائلا: "انني اعيش في التعددي والمجازي، إذا ارسلتموني الى الحقيقي، لن أستطيع ان افعل شيئا. وعلى أي حال، ماذا كنت سأرى. كل الذين ذهبوا لم يروا شيئاً. فقط الغرائب والنهايات. وان عدم وجود حرب حقيقة يعني غياب سياسة حقيقة. اذ لم يتم الابقاء على شيء عدا وسائل المنع نفسها، وحتى السلام الذي تبع ذلك ليس الا محاكاة وليس سلاماً حقيقياً"[٦٤]. لذا فقد عبر بودريار عن حرب الخليج التي اخرج من خلالها الجيش العراقي من الكويت بقوله (حرب الخليج لم تقع) بمعنى أن صورة حرب الخليج التي قدمتها وسائل إعلام الغرب، ليست هي الواقع الفعلي لحرب الخليج، بل هي صورة تشوه وتخفي واقعها، فهي صورة أيديولوجية، قدمها الإعلام الغربي وخصوصا الأمريكي، ليس لأن الإعلام مستقل وسيد نفسه، بل لأن القوة القابضة عليه استخدمته للتضليل، وبسبب الصورة الأيديولوجية جاءت هذه الحرب "نظيفة"[٦٥].

ويمكن أن نستنتج مع بودريار أن الارهاب ليس شيئاً يذكر من دون وسائل الاعلام التي تقم صوره، ولا يصح أن يكون هناك استخدام صالح لوسائل الاعلام، اذ إنها تمثل الجزء الذي لا يمكن أن يتجزأ من الحدث، ومن الرعب، ومن ثم فإنها تؤدي دورها في هذا الاتجاه أو ذاك[٦٦]. فقد جعلت وسائل الاعلام من نفسها اداة ادانة اخلاقية للإرهاب وفي الوقت نفسه أداة لاستغلال الخوف لأغراض سياسية، ولكنها نشرت في الوقت نفسه، الاعجاب الخام بالفعل الارهابي، ولذا فهي نفسها ارهابية لأنها تذهب نحو

الانبهار. غير ان نهاية الايديولوجيات فرضية اتسع انتشارها بعد سقوط جدار برلين في عام ١٩٨٩ (ولكن ما القول في انبعاث النزعات القومية والأثنية والدينية والمذهبية) يرد بودريار على ذلك بان الارهاب لا يكون بربطه بدين أو قومية أو أثنية أو ما شابه. وان انبعاث هذه الحالات هو رد على منطق الهيمنة العالمي، وعلى النزعة الامبراطورية، وهو ما يسميه بودريار "صدام الايديولوجيات(*****)"[٦٧]، في مقابل أطروحة هنتغتون عن صدام الحضارات. فمثلاً عندما يقال ان الاسلام شر، ليس المقصود هو: وانما المقصود انه ليس على ما يرام، وانه مريض، وعنيف بسبب مرضه؛ لأنه يرى نفسه ضحية ذليلة ويدع حقده مختمراً في قرارة نفسه بدلاً من ان يلحق بالنظام العالمي الجديد. فالحرب إذن تلازم كل نظام عالمي، كل سيطرة مهيمنة– ولو كان الاسلام يسطر على العالم لوقف الارهاب ضده؛ لان العالم نفسه هو الذي يقاوم العولمة[٦٨].

ثامنا: الخاتمة

قدم بودريار مقاربة فلسفية سوداوية للظاهرة الارهابية؛ فهو يرى ان النظام العالمي المهيمن يعمل على خلق العدو المزعوم بشكل مباشر أو غير مباشر؛ ولما كانت العولمة عبارة عن نفي للاختلاف وللآخر عموما، فان عنفها يطارد كل أشكال الاختلاف والخصوصية والتفرد. ويُشَبِه بودريار الاهاب بالفيروس، المنتشر عالميا، والملازم لكل نظام هيمنة، وانه حصيلة متراكمة او صورة متطرفة من العنف، اذ يرى بان للإعلام دورا في تنامي الارهاب، فدوره هو دور منتج الايديولوجية في عصر الثورة المعلوماتية والرقمية، ويتحكم به من يتحكم بالآلة الرقمية، فهو سلاح ذو حدين، احذ يعرض بتشويق اعمال العنف والارهاب من خلال عرض افلام العنف والسطو المسلح على شاشات التلفزة وغيرها، فالإرهاب ليس شيئا يذكر من دون وسائل الاعلام التي تقدم صورة له. إن هذا العنف الفيروسي يعمل على تدمير قدرتنا العقلانية على الممانعة. ويخلص بودريار إلى أن الإرهاب شيء مختلف عن الدين والعولمة؛ فهو يرفض عدّ الإسلام ارهابيا بطبيعته، مثلا لا يعتقد أن العولمة ليست أمركة للعالم، لان كلا من الإرهاب والعولمة يعبران عن نسق من الهيمنة الكونية التي يقابلها عنف الخصوصيات. أما الحل الذي يقترحه بودريار فهو بالحد من ظاهرة العولمة والتخفيف من غلواها والسماح بوجود الاخر المغاير لغوياً ودينياً وحضارياً.

***** سبق استخدام هذا المصطلح من قبل هنري كيسنجر وغيره من الكتاب للإشارة الى الصراع ما بين الشيوعية والرأسمالية.

الهوامش والمراجع:

(١) كريس هوروكس، زوران جيفتك، أقدم لك بودريار، ترجمة: حمدي الجابري، الناشر، المجلس الاعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٥.

(٣)عبد الرحمن ابكر ياسين، الارهاب باستخدام المتفجرات، ط١، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، ١٩٩٢، ص ٢٤.

(٤)https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/terrorishttps://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/terrorism?q=terrorismm?q=terrorism

(٥)عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، الجزء الاول، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ١٩٧٦، ص١٥٣-١٥٤.

(٦) رائد قاسم، الإرهاب والتعصب عبر التاريخ، ط١، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨، ص١٨.

(٧) المصدر السابق نفسه، ص٢٧

(٨)مصطفى العوجي، القانون الجنائي العام: النظرية العامة للجريمة، الجزء الاول، ط١، منشورات الحلبي القانونية، ٢٠١٦، ص ٢٤٤

(٩) محمد مسعود قيراط، الإرهاب دراسة في البرامج الوطنية واستراتيجيات مكافحته: مقاربة إعلامية، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض، ٢٠١١، ص ٦٣.

(١٠) المصدر السابق نفسه، ص ٦٣.

(١١)اندرو إدجار وبيتر سيدجويك، موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ط٢، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤ ص٤٩

(١٢) جان بودريار، روح الارهاب، ترجمة: بدر الدين عمر زكي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠، ص١٥.

(١٣) علي عبود المحمداوي، الفلسفة والارهاب او في سلم السؤال وعنف الجواب سرد في الجريمة المنظمة ضد العقل، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٦، ص٢٩.

(١٤) كريس هوروكس، زوران جيفتك، مصدر سبق ذكره، ص١٦٠.

(١٥) المصدر السابق نفسه، ص١٦٠.

(١٦) ادغار موران، جان بودريار، عنف العالم، ترجمة: عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٥، ص١٢٧.

(١٧) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، ذهنية الارهاب لماذا يقاتلون بموتهم، ترجمة: بسام حجار، الناشر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص٢٥، ص٢٦.

(١٨) الحسين المعطاوي، الفلسفة والارهاب بحث في روحه وجذوره، الشرق الاوسط، العدد(١٣٤٢١)، ٢٧ اغسطس، ٢٠١٥.

(١٩) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، ذهنية الارهاب لماذا يقاتلون بموتهم، ترجمة: بسام حجار، الناشر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص٢٦.

(٢٠) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص٢١.

(٢١) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص٢٧.

(٢٢) المصدر السابق نفسه، ص٢٧-٢٨.

(٢٣) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

(٢٤) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، ترجمة: سعود المولى، المنظمة الربية للترجمة: بيروت، ٢٠٠٨، ص٢٤-٢٥.

(٢٥) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص١٠٥-١٠٦.

(٢٦) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص٤٩.

(٢٧) المصدر السابق نفسه، ص٤٩-٥٠.

(٢٨) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص١٠٦.

(٢٩) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص٥٠.

(٣٠) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص١٠٧.

(٣١) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص٥١.

(٣٢) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص١٠٧.

(٣٣) ادغار موران، جان بودريار، مصدر سبق ذكره، ص٥٩-٦٠

(٣٤) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص١٠٨.

(٣٥) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص٥٣.

(٣٦) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص١١٠.

(٣٧) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص٧١.

(٣٨) المصدر السابق نفسه، ص٧٢.

(٣٩) ادغار موران، جان بودريار، مصدر سبق ذكره، ص١٥٢.

(٤٠) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص١٢٦.

(٤١) علي عبود المحمداوي، مصدر سبق ذكره، ص٣٠.

(٤٢) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص٧٥ و٨٨.

(٤٣) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص١٨-١٩.

(٤٤) جان بودريار، روح الإرهاب، مصدر سبق ذكره، ص٨٧.

(٤٥) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص٥٥.

(٤٦) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص٦٤.

(٤٧) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص٥٧.

(٤٨) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص٩١.

(٤٩) ضياء كاظم الكناني، الإرهاب ووسائل مكافحته، دار الكتب، كربلاء، ٢٠١٥، ص١٤٤.

(٥٠) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، مصدر سبق ذكره، ص٣٥.

(٥١) المصدر السابق نفسه، ص١٧.

(٥٢) المصدر السابق نفسه، ص٢٩.

(٥٣)ضياء كاظم الكناني، مصدر سبق ذكره، ص١٤٥.

(٥٤) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، مصدر سبق ذكره، ص٣٠.

(٥٥) ضياء كاظم الكناني، مصدر سبق ذكره، ص١٤٧.

(٥٦) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، مصدر سبق ذكره، ص٣٥.

(٥٧) ضياء كاظم الكناني، مصدر سبق ذكره، ص١٤٧.

(٥٨) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، مصدر سبق ذكره، ص٣١.

(٥٩) ضياء كاظم الكناني، مصدر سبق ذكره، ص١٤٩.

(٦٠) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، مصدر سبق ذكره، ص٣٧

(٦١) كريس هوروكس، زوران جيفتك، مصدر سبق ذكره، ص٤٥.

(٦٢) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، مصدر سبق ذكره، ص١٥.

(٦٣) سيمون مالباس، مصدر سبق ذكره، ص١٧٩.

(٦٤) كريس هوروكس، زوران جيفتك، مصدر سبق ذكره، ص١٢٤.

(٦٥) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، مصدر سبق ذكره، ص٣٧.

(٦٦) جان بودريار، جاك دريدا، اد فوليامي، امبرتو ايكو، مصدر سبق ذكره، ص٣٥.

(٦٧) جان بودريار، المصطنع والاصطناع، مصدر سبق ذكره، ص٢١.

(٦٨) جان بودريار، روح الارهاب، مصدر سبق ذكره، ص١٧.

Abstract

Jean Baudrillard is a nihilistic philosopher who tries to destroy everything. Because he believes that we live in a world of “simulation” and “falsification,” not in a world of reality that our blind eyes do not see to be replaced by another world that simulates this reality, dominated by worlds: cinema, television, Disneyland, news channels, pseudo-politics, and others.

Nevertheless, his position on terrorism deserves to be recorded, due to its influence on contemporary philosophical thought, and its presentation of concepts that opened new horizons of knowledge in the analysis of the terrorist phenomenon.

This paper seeks to understand his thoughts on the concept of terrorism, his interpretation of this phenomenon, and the hypotheses he presented. Through seven sections after this introduction, I dealt with the concept of terrorism in general, the most important definitions presented to it by institutions and researchers, and then the concept of terrorism for Baudrillard.

The research tended to analyze the relationship between globalization and terrorism from Baudrillard's point of view, then his analysis of the phenomenon of terrorism on September 11, 2001 that he lived and provided an explanation for, the role of the media in the manufacture of terrorism and the visions it provided for this role and its effects. The research ended with a brief conclusion.

key words: Baudrillard, Terrorism, September 11, 2001, Assumptions of Terror